

# نافذة على كتاتيب باليرمو.. صقلية إيطاليا

راغب السرجاني

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. نافذة الحضارة اليوم بنفتحها على مدينة اوروبية كانت في يوم ما اسلامية. وهي من مدينة باليرمو عاصمة صقلية بايطاليا. المسلمون فتحوا صقلية في عام متين واتناشر هجرية. الكلام ده بيوافق - [00:00:00](#) تنمية سبعة وعشرين ميلادية الفتح كان بقيادة اسد ابن الفرات الفقيه المالكي المشهور من تونس وكان هذا في عهد دولة الاغالبية دولة الاغالبية دولة سنية اسلامية كبيرة عظيمة كانت تابعة للدولة العباسية. وانفصلت تقريبا عن - [00:00:20](#) الدولة العباسية على الاقل في في الحقيقة او في الواقع لكن في الزاهر هي كانت تابعة للدولة العباسية. لكن هي كانت مستقلة الى شكل كبير او الى حد كبير وفتحت صقلية في سنة متين - [00:00:40](#) اتناشر هجرية وفضلت الصقلية مع المسلمين حوالي متين اثنين وسبعين سنة. آآ اختفى او يعني سقط الحكم الاسلامي من اه الصقلية سنة ربعمية اربعة وتمانين من الهجرة وده برضو شهدت الصقلية حكم الاغالبية في الاول زي ما قلنا عند الفتح سم بعد كده لما سقطت تونس وشمال افريقيا بشكل - [00:00:53](#) لعمرؤ تحت حكم الدولة العبيدية المسماة بالفاطمية انتقل حكم الصقلية بالتابعية الى الدولة العبيدية. في كل هذه الفترة الطويلة كان في تأثير حضاري كبير جدا من صقلية على اوروبا بشكل عام وعلى ايطاليا بشكل خاص وشهد بذلك المستشرقون جميعا من اهل - [00:01:18](#) اوروبا الصقلية تعتبر المعبر الحضاري الثاني الكبير لاوروبا. معبر الحضارة الاسلامية الى اوروبا. المعبر الاول طبعا الاندلس. والمعبر الثاني كان صقلية وطبعا طول حكم المسلمين في الاندلس هو اللي سمح ان المعبر الاسلامي ده يكون اطول واكبر واشهر كمان طبعا العلم في الاندلس - [00:01:38](#) كان متقدم جدا. لكن الصقلية برضه ما نقدرش نغفل الدور بتاعها. يعني قرابة ثلاث قرون من الحكم الاسلامي وعلوم كثيرة جدا وحضارة راقية ده اللي خلى لها اثر كبير على الاوروبيين. النهاردة بنتكلم على بعض اللقطات من - [00:02:00](#) المسلمين في اه الصقلية وتحديد ا في مدينة باليرمو. باليرمو هي اكبر مدينة في صقلية من زمان. وهي عاصمة الصقلية والى الان هي عاصمة صقلية. صقلية دلوقتي لها حكم ذاتي داخل جمهورية ايطاليا. يعني داخل ايطاليا نفسها لها حكم ذاتي. فهي تابعة لايطاليا. لكن لها ادارة - [00:02:20](#) خاصة بها. وما زالت هناك طبعا اثار اسلامية كثيرة انا زرت الصقلية الحقيقة وفيها يعني جالية مسلمة طيبة جدا وفيها عدد كبير من المساجد فيها اثار اسلامية ما زالت باقية وفيه اثار اه اسلامية حضارية معمارية على المباني النصرانية حتى على الكنايس نفسها وعلى القصور - [00:02:40](#) بالنصرانية آآ الملمح اللي هنتكلم عنه النهاردة ملمح الكتاتيب في باليرمو. الكتاتيب احنا قبل كده في حلقة سابقة اتكلمنا على الكتاتيب المسجد الاموي في دمشق. وهنلاقي فيه شبه كبير ما بين الكتاتيب الموجودة في باليرمو والكتاتيب الموجودة في دمشق. مع الفارق الزمني والجغرافي بين - [00:03:00](#) المكانين وده بيدلنا على استثبات المنظومة الحضارية الاسلامية. يعني الموضوع موضوع فكري. فكر المسلمين كان مهتم بالعملية التعليمية العملية التربوية العملية الحضارية ده فكر ثابت ناشئ من القرآن والسنة عشان كده هو - [00:03:22](#) كرر في اماكن مختلفة بعيدة عن بعضها البعض سواء في الزمان او في المكان. وده شيء رائع جدا وجميل. يعني معناه ان الحضارة

اللي عملت الكتاتيب في دمشق او عملتها في القاهرة او عملتها في بغداد او في سمرقند او في اي مكان في العالم الاسلامي ما كنتش معتمدة اعتماد كامل على - [00:03:42](#)

الشخص او الامير او الدولة القوية اللي عملت الكلام ده لكن معتمدة على الدين وبالتالي انتشارها في اماكن مختلفة بنفس النسق وبنفس الصورة شيء لافت جدا للنز وبيرجع الفضل كله لله عز وجل الذي انزل القرآن وعلم النبي صلى الله عليه وسلم السنة المطهرة  
- [00:04:02](#)

هناخد لقطاتنا من شهادات لابن حوقل ابن حوقل ده من اه كبار الجغرافيين المسلمين وهو من الرحالة اللي كان بيكتب الجغرافيا مش عن طريق الدراسة فقط النظرية ولكن كان بيتجول في العالم لا في بلاد كتيرة جدا ونقل صور حقيقية وقابل جغرافيين كتير جدا  
جدا - [00:04:22](#)

منهم الاستخري ونقل كتاب المسالك والممالك للاصطخر يعلق عليه وليه كتاب بنفس الاسم التنقيح والتلقيح لكتاب اه مسالك والممالك للاصطخري هو عمل كتاب ده يعني زي تعليقاته ومشاهداته وتعديلات على كتاب الاستخري. وبعض الناس بتسمي الكتاب ده  
- [00:04:47](#)

كتاب سورة الارض هو نفس الكتاب يعني. في هذا الكتاب ذكر ملاحظاته على باليرمو لما زارها. وزارها سنة تلتمية ثلاثة وستين من الهجرة. يعني اواخر القرن الرابع الهجري. واواخر القرن العاشر آآ الميلادي. لاحظ ابن - [00:05:07](#)  
بعض الامور في هذه الكتاتيب الموجودة في باليرمو. طبعا تسجيلاته عن باليرمو كتيرة شملت الاسواق وشملت الحياة العامة وشمعة القصور وشمل التحصينات والقلاع لكن احنا معنيين النهاردة بالكلام على الكتاتيب - [00:05:27](#)  
ذكر ابن حوقل في شهادته ان ان باليرمو فيها متين مسجد وفيها تلتमित معلم تلتमित معلم للصبيان يعني معلم في الكتاتيب. يعني عندهم تلتमित كتاب او عدد اقل شوية من الكتاتيب لان بعض الكتاتيب كان فيها اكثر من معلم في الكتاب الواحد - [00:05:45](#)  
متين مسجد في مدينة زي باليرمو ده رقم كبير جدا. يعني طبعا ده اللي المدينة اصلا ما هياش احنا ما بنتكلمش على بغداد ولا دمشق ولا قاهرة ولا مراكش ولا ولا - [00:06:05](#)

قرطبة المدن اللي هي الضخمة في ذلك الزمن في الاخر هي مدينة في الجزيرة. وثغرة تعتبر ثغرة من الثغور لان هي على حدود التعاملات الاسلامية مع النصارى بتوع اه ايطاليا فهي مدينة ما هياش مش مدينة ضخمة ان يكون فيها متين مسجد لكن هي كانت مدينة - [00:06:15](#)

تم بهزا الموضوع المسلمين بيهتموا جدا بصلاة الجماعة. وبالتالي اه يكتروا من بناء المساجد بتبقى قريبة من بعضها حتى ابن حوقل بيقول في كتابه بالزبط نسا يعني ولقد كنت واقفا ذات يوم بها اي بباليرو في جوار دار ابي محمد القفصي الفقيه الوثني -  
[00:06:35](#)

فرايت من مسجده في مقدار رمية سهم نحو عشرة مساجد يدركها بصري. ان هو واقف في مسجد احد الفقهاء اه اصداؤه اللي اتعرف عليهم في باليرمو بينظر من المسجد بتاعه فيستطيع ان يرى عشر مساجد من هذه الرؤية - [00:06:57](#)  
هذه من هذا المكان. لان المسلمين حريصين يكون الصلوات كلها في المسجد فلازم يكون المسجد قريب من البيت. فبيكثروا من انشاء المساجد لكن طبعا في ما يسمى بمسجد الجامع اللي هو بيجمع بقى المسلمين كلهم بيبقى عدده قليل يعني بيتبقى اتنين ثلاثة جايز واحد في المدينة كلها عشان يجمع المسلمين في الصلوات - [00:07:17](#)

او في المناسبات الكبرى اه الشاهد ان ان عدد الكتاتيب كبير قوي قوي بالقياس الى مدينة محدودة زي مدينة باليرمو بنتكلم على تلتमित كتاب او جايز متين كتاب في داخل هذه المدينة طبعا ده شيء مبهر جدا جدا وببدلنا على احتفال المسلمين بالعملية التعليمية. واهتمامهم الشديد - [00:07:37](#)

بموضوع تعليم الابناء. الملحوظة الثانية اللي لاحظها ابن حوقل ان كان المعلمون معفيين من دخول الجيش يعني اللي بيشتغل معلم معفي من الجهاد ما يخشش الجيش ما يلتحقش بالجيش بينما على عموم الناس ممكن يعني تدخل الجيش - [00:08:00](#)

نوع من الالزام لما سيكون في اه حروب او معارك. واحنا بنتكلم على زي ما كنا بنقوم شوية نغفر. نغفر يعني على حدود المسلمين خيرة في الشمال في مواجهة الايطاليين معارك كانت معهم يعني تقريبا كل سنة جايز اكثر من مرة حتى في السنة الواحدة - [00:08:21](#) فكون ان انا استثني المعلم من الجهاد في سبيل الله من الحرب من الدفاع عن البلاد المسلمة في هذا الثغر مهم معناه ان عندي اهتمام عالي قوي بموضوع التعليم. وان انا فاهم كويس ان النشء الصغير ده لو اتربى كويس هيطلع مستقبلا - [00:08:40](#)

يبقى هو المجاهد وهو السياسي وهو الاقتصادي وهو الشيخ والمعلم وهو وهو كل الامور هتبقى منضبطة اذا كانت التربية السليمة ده بيورينا قد ايه قيمة التعليم عند المسلمين في ذلك الوقت بردو لاحظ ابن حوقل نظرة الشعب - [00:09:00](#)

معلمين نظرة توقير وتقدير وتقديم بيقدمه المعلم ده معلم الكتاب ده مدرس مدرسة ابتدائي في زمانا ده كتاب زيهم يوزن مدرسة ابتدائية في زمانا بيقدموه تقدمة كبيرة جدا بيقولوا ابن حوقل نصا كانوا يرون الشعب في باليرمو الشعب - [00:09:20](#) المسلم في باليرموه كانوا يرون انهم اي المعلمين اعيانهم ولبابه ولبابهم وفقهاؤهم ومحصلوها ارباب فتاويهم وعدولهم وبهم عندهم يقوم الحلال والحرام وتعتقد الاحكام وتنفذ الشهادات وهم الادباء والخطباء شف قد ايه وضع المعلم عشان هو المعلم عشان هو بيعلم الاطفال عشان هو عنده نعمة العلم خد - [00:09:40](#)

هذه المكانة وهذا المنصب عند اه اهل اه باليرمو. اه برضه بيلفت اه النزر ابن حوقل لملح حضاري برضو ثاني في موضوع التعليم او العملية التعليمية او المعلمين بيقول ان هؤلاء المعلمون كانوا يقودون الحرب - [00:10:10](#)

الفكرية في البلد هم اللي الناس بترجع لهم عشان تاخذ ارائهم في الاوضاع السياسية في الاوضاع الاقتصادية في الاوضاع اللي ماشية فيها البلد بشكل عام او الدنيا اه بشكل اعم اه يقول ابن حوقل حتى انهم المتكلمون على السلطان في سيرته - [00:10:30](#) واختياراته والاطلاق بالقبايح من السننهم بمعاييه. يعني الوحيدون الذين كانوا ينتقدون السلطان هم المعلمون. والناس مع اذا كان ابو سلطان محسن او مسيء بياخدوا رأي المعلمين في طبيعة هذا الحكم. برضه الملمح الخامس - [00:10:50](#)

اللي هنتكلم عليه ان الكتاتيب في باليرمو ما كانتش بتاخذ اموال كثيرة من من الطلبة عشان يتعلموا. يعني اموال بسيطة جدا لدرجة ان من كلام ابن حوقل تدرك ان حرفة التعليم ما كانتش بتدر اموال كثيرة. يعني برضو في بعد حضاري راقى جدا - [00:11:10](#) عند المعلم نفسه مش بيستغل حاجة الناس ان هي محتاجة تتعلم وان الشعب كله مقبل على التعليم في ان هو يرفع الاسعار ويحقق ثروة من وراء هذا الامر ابن حوقل ان احيانا كان المعلم لا يستطيع ان يتحصل عشر الدنانير في السنة من تعليم الصبيان. انا -

[00:11:30](#)

تحسبها الدينار بيساوي اربعة وربع جرام من الذهب لما تيجي تحسبها بياخذ يعني عشر عشر دنانير يعني بياخذ حوالي خمسة واربعين دينار من الذهب طول السنة. وهو بيدرس مسلا هنشوف بعد كده في نقطة جاية ان حوالي تمانين واحد بيقوا في الفصل بتاعه. آآ مية تمانين او مية او سبعين حواليين هذا - [00:11:50](#)

الرقم يعني لما تيجي تحسبها بعد حاسبة طويلة بسعر سعر جرام الذهب قد ايه تجد ان هو دلوقتي كأنه بياخذ على طالب الواحد في السنة كلها عشرين دولار عشرين دولار في السنة يعني بياخذ في الشهر اقل من اثنين دولار على الطالب. تخيل! ويتعلم بقى ايه طول - [00:12:16](#)

آآ قرآن وكتابة وخط وعمليات حسابية بسيطة وبعض الامور الاخرى الفقهية تخيل فطبعاً كان يعني العملية التعليمية ما هياش عملية تجارية لكن كانت عملية حضارية راقية جدا جدا من الطرفين - [00:12:41](#)

والحاجة اللي بيلفت نزرنا اللي هي بنحوقل ايضاً ان ان لشرف مهنة التعليم كان كثير من الاعيان بيمارسوها. يعني ما هياش عمل اه اه خاص بطبقة كادحة من الشعب المعلمين دولت لا كان في عدد كبير جدا من الاغنياء بيمارسوا مهنة التعليم نتيجة ان هم -

[00:13:01](#)

يجدوا هذا الشرف في هذه المهنة. وكذلك يتخرج في هذه المدارس عدد كبير من اولاد الاغنياء آآ الملمح السابع الحضاري اللي بنقوله في هذه الحلقة ان الكتاب كان مؤسسة يعني رصد ابن حوقل ان بعض الكتاتيب - [00:13:21](#)

كان فيها خمس معلمين ليهم ريس مدير الكتاب فيبقى مديره تحتيه مجموعة وبيقسموا بعض على الاعمال وبالتالي بيتحول المكان مش مجرد كتاب معلم ومعه مجموعة من الطلبة لا دي مدرسة حقيقية فيها عدد كبير من الطلبة وكل واحد له دور من المدرسين -

00:13:39

اه اخر حاجة اقولها بالنسبة للمامح الحضارية. اه ذكر ابن حوقل ان صبيان المكتب كانوا كثيرين. يعني اه عدد عدد آا كان في المجمل او في متوسط تمانين طالب. تمانين طالب مع كل معلم. واحنا كنا بنقول عندنا متين تلتمية معلم في البلد - 00:13:59  
بتتكلم على اعداد كبيرة جدا من الطلبة بيدرسوا في الوقت المعين. وده طبعا بيدلنا على مدى نشاط الحركة التعليمية في مدينة باليرمو آا المسلمة الايطالية. فما بالك بقى باللاوضاع اللي كانت موجودة في بغداد او في دمشق او في القاهرة او في مراكش او في

00:14:19 غيرها من الحواضر -

الاسلامية الكبرى. اختتم الحلقة بتعليق. علق اه علقوا المستشرق الايطالي فرانشييسكو جبريللي. مع ان هذا المستشرق اصلا تقدر تكون متحامل على المسلمين في امور كثيرة جدا جدا لكن ما حدش يقدر ينكر دور المسلمين الحضاري الموجود في الصقلية - 00:14:39  
قال تظل الفترة العربية بالفعل اعلى قمة وصلت اليها الجزيرة الكبيرة. جزيرة صقلية. الواقعة في البحر المتوسط سواء من حيث استثمار مواردها او الحياة المادية المتعلقة بهذا الاستثمار. دي كلمات قالها - 00:15:01

مانشييسكو جبريللي وغيرها كتير جدا جدا راجعوا ما قاله المؤرخون والمستشرقون من اوروبا بشكل عام في حق المسلمين الذين حكموا طب ليه هتلاقي تجد ان كل هذه الشهادات هي شهادات ايجابية لصالح المسلمين؟ لان اسهام المسلمين في هذه الجزيرة لا

00:15:21 يمكن ابدأ ان -

يوفل او يهمل. اسأل الله عز وجل ان يتقبل منا ومنكم. جزاكم الله خيرا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته - 00:15:41